المقاربة الاجتماعية للتصميم: محاولة في الفهم والتفسير

The social approach to design: An attempt at understanding and interpretation

عادل بوزيد: أستاذ مساعد في علم الاجتماع، المعهد العالي للفنون والحرف بقابس (تونس)

Bouzid Adel: Assistant professor of sociology, Higher Institute of arts and crafts (Gabes Tunisia)

Email: adel.bouzid.bensaleh@gmail.com

DOI: https://doi.org/10.56989/benkj.v3i4.180

الملخّص:

تندرج الفكرة الأساسية حول مساءلة التحولات الاجتماعية وما تفرزه من مفاهيم ونظريات وفي ضوء تيار العولمة وطرح مسألة تجديد الهوية المجالية وإعادة الاعتبار للخصوصية المحلية وفق أداة منهجية تتمثل في التصميم الاجتماعي الذي يطرح تصورات ومشاريع تصميمية ذات أبعاد اجتماعية تشاركية، وبالتالي فهذه الدراسة هي محاولة للتعريف ببراديغم التصميم الاجتماعي بهدف إدراك طرق استخدامه ومختلف أهدافه ومن ثمة العمل على تطبيقه في مجالات التصميم المختلفة. وقد انتهت الدراسة إلى بعض التوصيات لعل أهمها أن تكون مقاربة التصميم الاجتماعي حاضرة في سياسات التجديد الاجتماعي لاسيما لدى الجهات الحكومية.

الكلمات المفتاحية: التصميم الاجتماعي، التصميم التشاركي، المجتمع المحلي، التجديد الاجتماعي.

Abstract:

The basic idea if this study is the questioning of social transformations and their concepts and theories, in the light of the current of globalization. It proposes renewal of local identity and re-consideration of local speceficity, is raised according to a methodological tool represented in social design that presents design perceptions and project with social dimension. Thus, it is an attempt to definet he social design paradigm and some of its applied aspects. Thus, this study is an attempt to introduce the social design paradigm in order to understand its uses and its various objectives, and then work on its application in the various fields of design. The study concluded with some recommendation, perhaps the most important of which is that the social design approach be present in social renewel policies, especially in government agencies.

Keywords: social design, particpatory design, local community, social renewal.

الإطار المنهجي:

المقدمة :

مع تصاعد موجة العولمة والتطور الهائل للوسائل التكنولوجية، التي أدخلت مجتمعات العالم برمتها ضمن سيرورة متواصلة من التحولات في مستوى القيم والسلوكيات وأنماط التفكير، كان من بين إفرازات هذا السياق المحموم بروز مفهوم التصميم الاجتماعي بوصفه فعلا إبداعيا فرضته طبيعة الحياة اليومية تلبية لاحتياجات وانتظارات مجتمع في حالة تغيير دائم، فقد مكنت العولمة من تبادل الثقافات المادية والغير مادية والاستفادة من مجتمعات ديناميكية ومتطوّرة باستمرار، مثلما أقرت توحيدا معياريا للفضاءات المعمارية والمشاهد الحضرية، مما أدى إلى إضعاف الثقافات الوطنية والمحلية وأنتج أزمة حادة في مستوى القيم الاجتماعية والثقافية، وأصبحت مسألة الهوية المحلية موضع شك وريبة. لكن هذه الصورة التي تعكس مجتمعا تكنولوجيا رقميا ومستقبلا افتراضيا، قد لا تتلائم مع مجتمع له احتياجاته الخاصة ونسقه اللغوي والثقافي والعائلي والاقتصادي والبيئي الخاص به كذلك. وفي ضوء هذا التيار الجارف للتحولات الاجتماعية، يَطرح اليوم الكثير من الباحثين من تخصصات متنوعة مسألة تجديد الهوية المحلية المجالية وتطويرها من خلال تمشي سوسيوثقافي ومستدام، وذلك وفق آلية تفكير وأداة منهجية تعرف بالتصميم الاجتماعي الذي أُعتبر بمثابة قاطرة للتجديد والابتكار الاجتماعي، والمفهوم الملائم لأنسنة الفضاء وتناسبه مع بيئته، كما يُعد من المباحث التي طوّرت التفكير الايكولوجي لمواجهة الضغوطات ذات الطبيعة الاجتماعية والثقافية والبيئية والاقتصادية، مثلما يحتل دورا مركزيا في ترسيخ الوعي بالتوازن الذي يجب إن يقام مابين الإنسان وممارساته وبيئته.

الإشكالية:

تطرح هذه الدراسة مسألة التصميم من منظور اجتماعي أو ما يعرف بالمقاربة الاجتماعية للتصميم وهي مبحث علمي مستحدث يندرج في إطار علم اجتماع التصميم، وفي هذا السياق تُطرح فكرة التصميم الاجتماعي لتقديم تصورات وفعاليات لمشاريع تصميمية ذات أبعاد اجتماعية وفق مقاربة تشاركية بالأساس في سياق مجتمعي يتجه أكثر فأكثر نحو التشعب والتعقيد، وبالتالي ففكرة التصميم الاجتماعي وأيديولوجيته الرئيسية تكمن في معالجة المشكلات الاجتماعية وتحسين جودة الحياة الاجتماعية ورفاهية الإنسان. وعلى عكس فعل التصميم المحض الذي يوجّه غاياته وأهدافه باتجاه السوق فان فعل التصميم الاجتماعي إنما رهانه الأكبر تلبية الاحتياجات الإنسانية، ذلك إن المصمم الاجتماعي يسعى إلى تغليب البعد الإنساني الاجتماعي في فعل التصميم الذي ظل مفقودا في عملية التصميم التقليدية التي غلب عليها بعد السوق بما فيه من منافسة وأرباح.

وتأسيسا على ذلك تتمحور الفكرة الأساسية لهذه الدراسة حول فهم وتفسير طبيعة التصميم الاجتماعي عبر تعريف التصميم الاجتماعي وإبراز منزلة الاجتماعي في التصميم مرورا بمشروعية الحديث عن براديغم للتصميم الاجتماعي، وببعض النماذج التطبيقية للتصميم الاجتماعي وانتهاء بالإشارة إلى حدود فكرة التصميم الاجتماعي.

أهداف البحث:

- التعريف بالإطار التاريخي والاجتماعي والحضاري للمقاربة الاجتماعية للتصميم.
- التعريف بالتصميم الاجتماعي باعتباره براديغما جديدة في تصميم المشاريع الراهنة.
- تثمين البعد الاجتماعي والإنساني في عملية التصميم.

منهج البحث:

انطلاقا من المراكمات النظرية والمنهجية والميدانية لفعل التصميم عامة فان هذه الدراسة تعتمد المنهج الوصفي بالأساس لإيجاد تكثيفا نظريا ومنهجيا لفعل التصميم الاجتماعي باعتباره براديغما جديدة، بالاستناد إلى أهم البحوث والدراسات التي تناولت موضوع التصميم الاجتماعي واستشرافا للأبعاد المستقبلية التطبيقية لبراديغم التصميم الاجتماعي، وذلك في ضوء رؤية تأويلية نقدية.

المبحث الأول: المفاهيم الاساسية:

أ- **مفهوم التصميم الاجتماعي:** إن التصميم الاجتماعي هو نشاط إبداعي يهدف إلى إبراز الوجوه المتعددة لنوعية المشاريع من حيث المجالات والخدمات والأنساق المتدخلة في دورة حياة هذه المشاريع ومن اجل ذلك يمثل التصميم الاجتماعي اليوم العامل الأساسي لانسنة التكنولوجيات الجديدة والمحرك الرئيسي للتبادلات الاقتصادية والثقافية. والتصميم الاجتماعي من وجهة أخرى هو تلك المقاربة التجديدية صلب السياسات العمومية الراهنة التي تتولى توجيه المشاريع العمومية بهدف إحداث التغيير الاجتماعي الذي يستجيب لاحتياجات الفئات ذات المصلحة وفق مقاربة تشاركية بالأساس.

ب- **التصميم التشاركي:** هو مقاربة حديثة في التصميم تقطع مع النزعة الأحادية التقليدي في التصميم ذات البعد الفني البحت، ويندرج هذا المفهوم ضمن ما يعرف بالمصمم المشارك ذلكإن تصميم المنتج أو المشروع لم يعد معني به فقد صاحب المؤسسة او المشروع وإنما كل الفاعلين المعنيين، وهكذا فالتصميم التشاركي هو مقاربة تعاضدية تستهدف تلبية احتياجات وانتظارات كل

الفاعلين المتدخلين من خلال مسار من المفاوضات والحوارات[1] باتجاه بناء معارف وأفكار مشتركة تستجيب لاحتياجات الجميع.

ج- المجتمع المحلي: رغم ما اشبع به هذا المفهوم من بحوث ومؤلفات إلا انه لا يزال محل خلاف بين العديد من الباحثين، عموما يطلق هذا المفهوم على مجموعة من الناس في منطقة جغرافية محددة تنشا بينهم علاقات إنسانية متبادلة وتجمعهم عادات وتقاليد وأهداف مشتركة تساعدهم على بلورة وعي ذاتي بأنفسهم[2]، وعلى الرغم من أن هذا المجتمع يشكل وحدة جغرافية واقتصادية تغطي الكثير من الخدمات فانه لا يشكل عادة وحدة سياسية وقانونية مستقلة كما هو الحال بالنسبة للمدينة أو القرية، ويمكن اختزال هذا المفهوم في ثلاثة أبعاد أساسية وهي: البعد البيولوجي والبعد الجغرافي والبعد الاجتماعي، وأهم ما يميّز المجتمع المحلي طغيان الأسلوب التلقائي والعاطفي والتعاوني بين الأفراد والجماعات

2- منزلة العنصر الاجتماعي في التصميم:

ظهر التصميم الاجتماعي كفرع للعلوم الاجتماعية في نهاية القرن العشرين، عندما أصبح من الواضح أن تجاهل الجوانب الاجتماعية للتنمية محفوف بالتكاليف الخطيرة في أداء المجتمعات الحديثة، وقد اهتم هذا المبحث في البداية بتطوير مهن التصميم تحت تأثير جملة من العوامل التكنولوجية والرقمية، وتعقد العديد من الوضعيات الاجتماعية والمشاريع ومسألة التنمية المستدامة والأزمة الاقتصادية والثقافية، ثم تطوّر هذا المبحث تدريجيا مُغلبا الأبعاد الاجتماعية، وقد تفرعت عن التصميم الاجتماعي عدة انساق فرعية على غرار التصميم التواصلي والتصميم الإداري والتصميم الخدماتي، والتصميم الفكري الذي هو طريقة جديدة لتناول وتصور وتوجيه المشاريع الجديدة المتعلقة بالتجديد التكنولوجي والاجتماعي.

على أن العنصر الاجتماعي في مقاربة التصميم الاجتماعي في المجتمعات الانقلوساكسونية يعكس المشاريع التي تأخذ بعين الاعتبار احتياجات وآمال الفئات الاجتماعية الهشة والمحرومة، بدليل إنالاهتمام بفكرة التصميم الاجتماعي والتوجه نحو إحداث التجديد الاجتماعي إنما تنبع من التردي والهشاشة التي طالت كل الخدمات العمومية والتي تعاني منها يوميا الفئات الاجتماعية المختلفة، ومن هذا المنطلق فان مهمة المصمم الاجتماعي هي تلك التي تتجه أكثر فأكثر باتجاه

[1] Bernadette Charlier, France Henri, Le design participatif pour des solutions adaptées à l'activité des communautés de pratique, Congrès international AREF 2007, Strasbourg, P5.

[2] عضيبات عاطف عقلة، مجتمع محلي، أنظر الموسوعة العربية لعلم الاجتماع، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 2010، ص722.

تصوّر أفضل للخدمات والمشاريع والسياسات العمومية وفي مختلف القطاعات الإنتاجية لا سيما في مجال الصحة والشغل والثقافة والعائلة والتربية والنقل. علما وإننا في هذا الإطار لا نقصد بان يعوّض المصمم الاجتماعي مكانة أخصائي الخدمة الاجتماعية وإنما مهمته الأساسية تكمن في كيفية توفير فضاء ملائم للتحرك والنشاط لمختلف الفاعلين في علاقتهم بالدولة وفي الإقرار بان القائمين على الخدمات والمرافق العمومية في ظل تعقّد مسارات الحياة الاجتماعية وارتفاع منسوب الضغط الاجتماعي بمختلف صنوفه أصبحوا غير قادرين على مسايرة حركية المجتمع وتحقيق الإشباع المرغوب لأفراد المجتمع مما يتطلب مقاربة تشاركية استباقية.

وبناء على ذلك فان مقاربة التصميم الاجتماعي تُطرح بمثابة الخطاب الحامل لموضوع جديد يسعى إلى توسيع مجال التصميم والتهيئة الصناعية والعمرانية باتجاه ربطه بالرهانات والمشاكل المجتمعية الحديثة على غرار كيفية العيش والتعايش المشترك في علاقة بالحركية الحضرية والخدمات الموجهة أكثر للمسنين، والأمن الغذائي والخدمات الثقافية ومشاكل التنمية المحلية، ومشاكل إعادة التوطين والقرى المستحدثة وكذلك تحسين نظام الإدارة والبيروقراطية.

ولذلك تسعى التيارات الحديثة للتصميم إلى إقحام الأبعاد الاجتماعية في التصميم وتعتبر أن معاهد وكليات التصميم إنما كانت باستمرار حاملة لمشروع مجتمعي وتحرري متفرّد، ورغم إن الأبعاد الاجتماعية في مختبر التصميم ليست بالجديدة غير إن الاهتمام اللافت للتيارات الحديثة بحقل التصميم الاجتماعي شكّل علامة بارزة تتطلب الفهم والتمحيص، فمن جهة الفاعل السوسيولوجي لم يعد دوره مجرّد البحث في العلاقات السببية للظواهر بقدرما يتدخّل في تصوّر وتصميم عوالم ممكنة عبر المشاركة الصريحة في الحراك الجماعي واستكشاف الاختلافات الممكنة، وفي المقابل فان المصمم الاجتماعي Sociodesignerأضحى محمولا أكثر باتجاه تغليب الأبعاد الاجتماعية وممارسة الفعل التشاركي والتعاضدي مع كل الفاعلين المتدخلين في الحقل الاجتماعي.

المبحث الثاني: الأبعاد الابستمولوجية والتطبيقية للتصميم الاجتماعي:

1- إضاءة حول مفهوم البراديغم في التحليل السوسيولوجي:

يمثل البراديغم نموذجا في كيفية تفكير الإنسان في الموضوعات والظواهر والأحداث المرتبطة بالواقع بالاعتماد على مجموعة من المفاهيم والنظريات باتجاه رسم رؤية معينة حول موضوع محدد يتعلق بالفن أو السياسة أو الأدب وغيرها، وفي هذا الإطار يُعتبر "توماس كوهن" من أول المشتغلين بمفهوم البراديغم يعرّفه على انه "مجموعة نماذج معترف بأنها عمل علمي تشتمل على قوانين

ونظريات وتطبيقات تولّد تقاليد محددة ومتماسكة في البحث العلمي"[1]، على إن الانخراط في البراديغم يفترض الالتزام بشعور هوياتي قوي بمنظومة من القيم من قبيل الدقة والتماسك الداخلي والفائدة الاجتماعية للعلم التي يجب أن تكون موجودة لدى جميع الباحثين من نفس الجماعة[2]، وبالتوازي مع ذلك يقول عالم الاجتماع "آلان توران" إن التحولات الاجتماعية العميقة وعجز المقولات التقليدية عن تحليل الواقع كل ذلك يقودنا إلى التأكيد أن براديغما جديدة هي بصدد الحلول مكان البراديغما الاجتماعية[3]تسمح بفهم التكوينات الاجتماعية وتسمية الفاعلين الجدد والنزاعات الجديدة.

2- مشروعية الحديث عن براديغم للتصميم الاجتماعي:

إن المنعرج الهام في تاريخ التصميم يُعزى إلى ستينيات القرن الماضي عندما أُسست أقساما خاصة بالتصميم في الجامعات الأوروبية التي مكنت تاريخيا من تكوين جيلا من الباحثين والمصممين الذين مهّدوا الطريق ابستمولوجيا لبروز براديغم التصميم الاجتماعي، وذلك عبر تحرير التصميم من الممارسات المهنية التطبيقية الضيقة واعتباره نمطا من التفكير والتصوّر[4].

إن فكرة تشكل براديغم للتصميم الاجتماعي تستمد جذورها من المقاربة التشاركية التي تغزو اليوم كل مجالات العلوم الاجتماعية والمشاريع السياسية والسياسات الدولية، بلإن التعامل مع المنظمات الدولية والمؤسسات المالية الدولية يفرض قسرا المقاربة التشاركية على كل طرف، ومن هذا المنطلق فان المقاربة التنموية التي تمثل الرهان الأبرز لبراديغم التصميم هي تلك التي تستند إلى المقاربة التشاركية التي تنصرف باتجاه تثمين البعد المحلي والاستجابة أكثر لرغبات واحتياجات الفئات الفقيرة والمحرومة.

من بين الأبعاد الابستمولوجية والتطبيقية العميقة التي تجيز للبعض استعمال مقولة براديغم للتصميم الاجتماعي تلك المتمثلة في مراهنة مشروع التصميم بهذا الشكل على ترسيخ السلوك التشاركي والثقافة التشاركية في مختلف المشاريع العمومية التي تستهدف تحسين جودة الحياة وتحقيق

---

[1]Thomas. Kuhn, The Structure of Scientific Revolutions, Second Edition, Enlarged, The University Of. 4. Chicago Press, Chicago, 1970, P182.

[2] مقراني أنور، براديغم السياسة عند النساء المنتخبات في المجالس الشعبية الجزائرية. مقاربة جندرية"، مجلة العلوم الاجتماعية، عدد 25 ديسمبر 2017، الجزائر ص 41.

[3] تورين آلان، براديغما جديدة لفهم عالم اليوم، ترجمة جورج سليمان، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 2011، ص346

[4] Cross Nagel, «Designerly Ways of Knowing», Design Studies, Volume 3, Issue 4, Octobre 1982, P221- 227.

الرفاهية للإنسان بالتركيز أساسا على الفئات الشعبية التي ظلت مقصية بصفة مباشرة وغير مباشرة تاريخيا حتي تكون عنصرا مشاركا وفعالا في القرارات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

على إن مقولة المشاركة عند أنصار فكرة التصميم الاجتماعي بمفهومها الراهن إنما تنصرف باتجاه ترسيخ قيمة نوعية للعيش المشترك وتقطع مع السياسات العرجاء التي تستهدف فئة اجتماعية بعينها. وهكذا فمن بين الرهانات التي يعمل على ترسيخها براديغم التصميم الاجتماعي تلك الديناميكية والتمرير المتواصل للفكر التشاركي سواء في الذهنية الفردية و الجماعية أو في ذهنية الهيئات الدولية باتجاه إنتاج الفكرة والتصوّر بشكل جماعي تعاضدي.

وبالعودة إلى أعمال المصممين نستنتج بوضوح مدى وعيهم والتزامهم بجدوى المقاربة التشاركية وبالتالي الحضور القوي للأبعاد الاجتماعية في تصميم المشاريع وذلك عبر تكوين شبكات افتراضية تواصلية والسعي نحو إعادة صياغة هوية جديدة للمصمم والتصميم عامة، ولعل هذا يعود إلى حجم التراكم المعرفي والمنهجي الذي انتهى إليه مبحث التصميم الاجتماعي.

وجدير بالذكر أن بروز فكرة براديغم التصميم الاجتماعي إنما تندرج في إطار التحولات المنهجية والمعرفية التي يشهدها عالم التصميم ويتطلبها تصميم العالم المعاصر فهي فكرة مغايرة في تصوّر وقيادة المشاريع الاجتماعية تستجيب كثيرا إلى الفئات الاجتماعية صاحبة المصلحة[1] وهي بمعنى آخر استعادة للقيمة الاستعمالية والإجرائية للفن.

3- الأبعاد البلاغية للتصميم الاجتماعي:

إن اعتماد التصميم الاجتماعي بالمعنى البراديغمي للكلمة أي باعتباره آلية منهجية وأداة تفكير لتصميم المشاريع الاجتماعية ذات الصبغة العمومية، كفيل بتحقيق التغيير الاجتماعي وتطوير ثقافة المجتمع وبيئته الحضرية، باتجاه التمكين الاقتصادي والسياسي للمجتمع، كما يساهم في التنبيه إلى المشكلات الاجتماعية الكبيرة على غرار الإفراط في الاستهلاك والتعددية الثقافية التي زجّت بالمجتمع ضمن أزمة الهوية. وفي هذا الإطار تطرح مقاربة التصميم الاجتماعي بشدة لتحسين الممارسات والسلوكيات صلب المجتمع المحلي، وإعادة تحديد الاحتياجات ومراجعة الفضاء الاجتماعي المرجع في تنظيم الأنشطة الاجتماعية المحلية. وبهذا المعنى يصبح التصميم الاجتماعي بمثابة التمشي الثقافي الجديد الهادف إلى إرساء نمط جديد للتفكير والسلوك والتصرّف في المعيش اليومي للأفراد

[1] Findéli Alin, « Le design social », communication présentée à la journée d'études Innover!
Innover! Oui mais comment? Ce que nous apporte le Design Social, Société Française d'Évaluation, 24 mars, Nîmes [en ligne], 2016, http: //www.sfeasso.fr.

والجماعات، كما إن مقاربة التصميم الاجتماعي تنطوي على رهان جسيم ومسؤولية مصيرية عندما يتعلق الأمر بتشكيل وبناء ثقافة وهوية ومنظومة قيمية مستحدثة في علاقة بالفرد والجماعة والنسق الاجتماعي برمته، علما وان المصمم الاجتماعي في ضوء هذه المقاربة الشاملة محمول أكثر فأكثر للاستجابة للأبعاد الاجتماعية البيئية دون التغاضي عن الأبعاد الثقافية والاقتصادية لضمان تنمية مستدامة[1] تلبي إلى حد كبير احتياجات الطبقات الاجتماعية.

والتصميم الاجتماعي باعتباره حاملا لمشروع مجتمعي جديد يعتمد على المسار التعاضدي في كل تمشياته باتجاه إفراز ديناميكية دائبة في التجديد الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والبيئي والتكنولوجي، وإحداث تجديد في كل ما يتصل بالشأن العام ولاسيما بالخدمات الإدارية التي تُعد من روافد التصميم الاجتماعي الأساسية ففي ظل مجتمعات بيروقراطية كالتي نعيش يُطرح التصميم الإداري لفرض مشروع فك تعطل المشاريع الاجتماعية وإحداث التجديد المناسب، وهو تصميم يعتمد على التواصل ما بين كل الفاعلين في المجال المحلي الذين تربطهم مصالح مشتركة ويحملهم هدفا مشتركا مفاده كيفية تحسين نوعية الحياة.

ففعل التصميم الإداري يُمثل إستراتيجية حقيقية لاستباق القيمة المضافة للمجتمع والثقافة والبيئة المحيطة، ولذلك ليس من المبالغة في توصيف هذا النوع من التصميم بمثابة النسق الفرعي الرئيس من بين جملة انساق التصميم الاجتماعي عندما ندرك أن حقيقة تعطّل مسألة التجديد الاجتماعي وتحقيق التنمية المستدامة في كثير من المجتمعات يُعزى في جزء كبير منه إلى التعقيدات الإدارية البيروقراطية، ولذلك فمشروع التصميم الإداري يطمح إلى إرساء نوعية خدمات جديدة وأسلوب تصرّف وتفكير يستجيب لخصوصية المجتمع وتركيبته وطبيعة تحولاته، وهذا ما دفع ببعض الباحثين في مجال التصميم إلى اعتبار هذا النوع من التصميم النتيجة الحتمية المؤدية إلى تغييرات اقتصادية هيكلية متمحورة حول الفرد[2].

ومن الأنساق الفرعية الأخرى المتفرعة عن نسق التصميم الاجتماعي الشامل هناك نسق تصميم الخدمات الذي يسعى إلى خلق خبرات فردية وجماعية يمكن استثمارها في أنشطة وظيفية واستخدامات متنوعة على غرار الخدمات ذات الطابع العاطفي والحسي والجمالي بما يفرض نوعية حياة مجتمعية جديدة.

[1]Fischer, Gustave Nicolas, La psychosociologie de l'espace. Paris: Presses Universitaires de France 1981, P 56.

[2]Caraës Marie-Haude & Françoise Cœu, Enseigner le Design? de l'idée à l'exercice, . Saint-Etienne, Imprim, Vert 2008, P 32.

إن التصميم الاجتماعي بما هو إطار منهجي وتصوّري لمشروع مجتمعي جديد إنما يمثل إستراتيجية متكاملة تُزاوج ما بين الاجتماعي والبيئي من ناحية وبين الإداري التسييري والخدماتي من ناحية أخرى، بما يُمكّن من إرساء نموذج تنموي يتلاءم وخصوصية المجتمع المحلي. وهكذا فمقولة المجتمع المحلي والثقافة المحلي حاضرة بقوة في مقاربة التصميم الاجتماعي التي تستند كثيرا إلى الإمكانيات والموارد المحلية والفاعلين المحليين في بلورة وصياغة مفاهيم الإدارة والتنظيم وطبيعة التكنولوجيات التي تتلاءم مع خصوصية المجتمع المحلي، بعيدا عن السياسات الدوغمائية الهلامية الاسقاطية. ولأن السياق الاجتماعي المحلي هو الكفيل بتوليد قراءة نزيهة للسلوكيات والممارسات وملامح الشخصية القاعدية وشكل الحياة النفسية للأفراد، فان كفاءة المصمم الاجتماعي ومهارته تكمن في صياغته لمشروع تصميم اجتماعي متوازن ومستجيب لكل الاحتياجات والانتظارات، بتشريك وإدماج كل الفاعلين المتدخلين في الحقل الاجتماعي من باحثين ومهندسين وعلماء نفس واجتماع ومصممين وغيرهم ممن لهم صلة، بُغية صياغة مشروع للتجديد الاجتماعي متكاملالأبعاد. وتأكيدا على حجم المسؤولية الموكولة للمصمم الاجتماعي يعتقد البعض إن مهمة المصمم الاجتماعي وسط كل الفاعلين المتدخلين تبقى هي الرئيسية عبر قدرته على الإلمام والتحكم في كل أبعاد المشروع واحتمالات النجاح والتحقق، مما يتطلّب من المصمم الاجتماعي وفق "بابنيك"[1] أن يكون محل مسؤولية أخلاقية واجتماعية بالغة ومعرفة عميقة بالخصائص الثقافية للإنسان طالما إن التصميم الاجتماعي هوأداة تجديد وإبداع فائقة متعددة الاختصاصات تستجيب إلى حد بعيد إلى رغبات الإنسان واحتياجاته.

4- نماذج تطبيقية للتصميم الاجتماعي:

مثلما أسلفنا فان مقاربة التصميم الاجتماعي تشمل كل الأنشطة والفعاليات التي تستهدف تحسين نوعية الحياة وتجويد أداء الفاعل الاجتماعي، فمنها ما يتعلق بالسلع والمنتجات ومنها ما يتعلق بالخدمات وفي هذا الإطار نقدم مجالين من مجالات الحياة الاجتماعية كانا مدار تطبيق لفكرة التصميم الاجتماعي:

أ- السكن مجال تطبيقي للتصميم الاجتماعي:

من المفيد الإشارة إلى الدور المحوري للتصميم في تحول المجتمعات وتغيير صورتها الثقافية وتشكلاتها الحضرية المختلفة، تحولات أحدثت بلا شك حركية اقتصادية وسياسية، ولعل الاهتمام بتهيئة الفضاء السكني يستمد جذوره من المقاربة النفسية-الاجتماعية للفضاء التي نشأت نتيجة مطلب

[1] Papanek, Victor. Design pour un monde réel, Ecologie urbaine et changement social. Paris, Mercure de France, 1974, P68.

اجتماعي يتعلق بمزيد الاهتمام بالطبيعة والمحيط البيئي، ولأن علاقة الفرد بالفضاء ليست علاقة اعتباطية انعزالية وإنما هي علاقة تفاعل متبادل، مثلما إن الفضاء [1]ليس مجرّد معطيات مادية جامدة وإنما ينطوي على جملة من المعاني والرموز والقيم الفردية والجماعية بما يجعل لكل فرد تمثّله الخاص للفضاء المحيط.

على إن مجال السكن يُعد من أولى المجالات الاجتماعية التي شملها فعل التصميم بيد إن هذا الفعل ظل أجوفا من الناحية الإنسانية الاجتماعية لذلك يُطرح التصميم الاجتماعي لاستعادة البعد الاجتماعي في تصميم الفضاء السكني والتجذّر أكثر ضمن الخصوصية الثقافية المحلية، مثلما يُطرح رهان تحسين الممارسات والسلوكيات وفق مقاربة تشاركية تستجيب أولا إلى طموحات وانتظارات الفاعلين صلب المجتمع المحلي، من خلال تنزيل الفضاء منزلة الإطار الأمثل لتنظيم الأنشطة الإنسانية.

ففضاء السكن كفيل وفق روّاد المقاربة النفسية – الاجتماعية للفضاء بمصالحة الفرد مع هويته المحلية وتعزيز قيم الانتماء والاعتزاز بالخصوصية المحلية والعمل على تطويرها لاسيما أمام ما تشهده كل هذه القيم من هشاشة وتهاو في السياق الاجتماعي الراهن.

وفي ضوء هذا التمشي المنهجي فان تصميم الفضاء السكني وفق المقاربة الاجتماعية للتصميم يتطلّب تحمّل المسؤولية تجاه الفرد والجماعة والبناء الاجتماعي برمته في مسألة التصميم، بمعنى مراعاة مختلف الاحتياجات التكنولوجية والمادية والوظيفية والجمالية والنفسية والحسية لأصحاب المصلحة أو المستفيدين، مما يتطلّب من المصمم الاجتماعي الانطلاق بالضرورة من السياق السوسيوثقافي المحلي، مع الأخذ بعين الاعتبار الخصوصيات الاقتصادية والبيئية للاستجابة أكثر لرغبات أصحاب المصلحة وبالتالي لخصوصية المجتمع المحلي، باتجاه ضمان رؤية تصميمية شاملة ومتوازنة [2].

وتأسيسا على ما سبق فان اختيار براديغم التصميم الاجتماعي لتطبيقه على فضاء السكن تقوده فرضية مركزية مفادها: كيف يمكن توفير فضاء سكني مستدام؟ إن مواجهة هذه الفرضية ميدانيا تقتضي من المصمم الاجتماعي تْحد كبير من ناحية تصوّر الفضاء السكني في مظهره المادي بما يستجيب لاحتياجات المستفيد والمحيط عامة، لأن فضاء المسكن متصل شديد الاتصال بمنظومة

[1] Moles, Abraham & Rohmer, Elisabeth, Psychologie de l’espace. Paris, 1972, Casterman, P32.

[2]Ben Youssef Zorgati, Imen, Le design social: un levier du développement territorial, Unité de Recherche Pratique Artistique Contemporaine à l’Institut des BeauxArts de Tunis, Université de Tunis, 2011, P4.

من الممارسات الاجتماعية والثقافية لمرتاديه، بدليل أن هذا الفضاء من الوجهة السوسيولوجية له مكانة اجتماعية شأنه شأن مؤسسات المجتمع الأخرى وكل مكانة تتفرع عنها أدوار وممارسات محددة يبنيها الأفراد والجماعات تتحوّل بمفعول الزمن إلى نوع من الهوية المشتركة. وفي ضوء هذه المعطيات فان المرحلة الأولى في تصوّر مشروع فضاء المسكن يجب أن تأخذ بعين الاعتبار القيم الثقافية والاجتماعية لمكونات فضاء المسكن المادية وغير المادية، أي أن يتبنى المصمم إستراتيجية تصميمية ترتكز على مفاهيم تتناسب والسياق المحلي الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والتكنولوجي، وتتماهي ونسق تطوّر وتحول المجتمع، طالما إن الرهان المحوري الذي يقود المصمم الاجتماعي هو إضفاء أكثر ما يمكن من الطابع الإنساني والاجتماعي على مسألة التصميم [1]، ذلك إن مقاربة تصميم فضاء المسكن وتصوّر مختلف زواياه لا يمكن أن تكون بمعزل عن الأبعاد الثقافية والاجتماعية والنفسية، بمأن الثقافة التي تعكس نمط معيش الفرد وأنشطته وعاداته إنما تؤثّر في طريقة استغلال فضاء السكن مثلما أن الفضاء يؤثّر في طريقة العيش. وفي هذا السياق يعتبر البعض إن طبيعة المواد الأولية التي يبنى منها المسكن قد تكون حاسمة في توفير التوازن والاستقرار النفسي والعاطفي للأفراد، لان هذه المواد ليست مجرّد سلع جامدة وإنما كفيلة بإفراز منظومة من الممارسات والسلوكيات التي تكون أكثر مسؤولية وعقلانية بتحقيقها للإشباع المنتظر، ولعل سعي بعض المدن التونسية العتيقة إلى الحفاظ على معمارها العتيق وترميمه على غرار مدن توزر ونفطة يعكس حقيقة التأثير النفسي–الثقافي لطبيعة البناء والمعمار على السكان المحليين.

ولمواجهة كل هذه التحديات فان المقاربة المنهجية للتصميم الاجتماعي تتطلّب بالضرورة البعد التشاركي لأن أنصارها يؤمنون بأن التصميم الاجتماعي يعمل بواسطة الأفراد أكثر مما يعمل لفائدتهم.

من زاوية أخرى فان اعتماد البعد الجماعي التعاضدي في تصميم فضاء المسكن على وفائه للخصوصيات المحلية من شأنه أن يثمّن التراث المحلي والموارد والإمكانيات المحلية باتجاه توظيفها في سياق التنمية المستدامة والتجديد الاجتماعي.

ب– الصحة مجال تطبيقي للتصميم الاجتماعي:

لا يجادل أحدا في كون الخدمات المقدمة في قطاع الصحة هي من أنبل الخدمات الإنسانية، وهذا يقتضي من العاملين فيه بمختلف أصنافهم التحلي بأسمى القيم الإنسانية على غرار الأمانة والمسؤولية والثقة والنزاهة، وبالتالي فنوعية منتجه خدماتي وهذه الخدمات على أهميتها تتطلب باستمرار المراجعة والتحسين والتأقلم مع مختلف الظرفيات، ولأن صورة القطاع الصحي وسمعته تبقى

[1]Fischer, Gustave Nicolas, Psychologie de l’environnement social. Paris, 1997, DUNOD, P67.

عنوانا من عناوين المجتمعات المتقدمة، وفي هذا الإطار وبما أن مجتمعات العالم تتجه نحو الرقمنة والتواصل الافتراضي قام مجموعة من الباحثين بتطبيق براديغم التصميم الاجتماعي على مجال الصحة من خلال دراسة ميدانية حملت عنوان (البحث– المشروع)، وقد ضمت الدراسة فريقا علميا متعدد الاختصاصات انطلق من سؤال رئيسي مفاده: كيف السبيل إلى تحسين الوقاية من التهاب الكبد الوبائي وإدارته عبر استخدام الأجهزة الرقمية؟

وقد تمثلت حيثيات الدراسة على المستوى المنهجي في دورة تابعها الباحثون اشتملت على بحث ميداني شمل مجموعة من الملاحظات والمقابلات والورشات ضمت خاصة الفاعلين في ميدان الصحة (أطباء، ممرضين وأعوان إدارة) لمدة ثلاث سنوات وقد اشتغل الفريق البحثي على تجديد وتطوير ثلاثة مستويات في الصحة (التنظيمي والتكنولوجي وخاصة الاجتماعي)، وذلك عبر استقطاب واستثمار الجانب الإبداعي للباحث والمصمم ومختلف المشاركين في المشروع، وهو مشروع تحسين وتطوير التعليم ومحو الأمية الرقمية الصحية.

وفي النهاية توصل فريق البحث إلى اقتراح بروتوكول يتعلق بالرعاية الصحية وكيفية تحسين الخدمة الصحية الرقمية ما بين المرضى والأطباء والممرضين يتعلق خاصة بكيفية تقديم الخدمة وأشكال الحلول لمواجهة مختلف المشاكل المحتملة.

5– حدود براديغم التصميم الاجتماعي:

إن براديغم التصميم الاجتماعي على أهمية لايخلو من محدودية في مستوى التطبيق ولا من الشك في جدوى تصوراته وقراراته، وهذا شأن كل الأدوات المنهجية والنظريات العلمية خاصة إذا بالغنا في التعسف في مسألة تطبيقها وأهملنا خصوصية الواقع المدروس، طالما إن التمشي المنهجي الموضوعي في دراسة كل الظواهر يعتبر أن الواقع هو الذي يحكم على النظرية وليس العكس. وعموما يواجه براديغم التصميم الاجتماعي صعوبات وتحديات ميدانية وجب أخذها بعين الاعتبار يمكن اختزال أبرزها في:

- في الوقت الذي يتصاعد فيه طموح المصممين باتجاه تكوين شبكة من المنظمات والمؤسسات وأشكال الحراك الشبابي المتنوع لإقناع الرأي العام بجدوى التصميم الاجتماعي فان نجاح مشروع التصميم الاجتماعي يواجه جملة من العراقيل والتساؤلات التي تحتاج إلى حلول من بينها: هل أن نجاح فعل التصميم الاجتماعي هو ذلك الذي يستجيب لرغبات ممول المشروع أم المستفيد أو صاحب المصلحة؟ إن نصف النجاح مقيّد قبل أن يُمسك أي فرد بالقلم لرسم الحل.

- إن طغيان نزعات الانتهازية والبرقماتية في النسيج الاجتماعي الراهن يجعل جانب كبير من الأفراد يسعون فقط لتلبية مصالحهم واقتناص فرص الربح الذاتية مما يُضعف كثيرا ما يعرف باقتصاد المساعدة والسعي لترسيخ المقاربة التشاركية الحقيقية.

- إن افتقار كثير من المجتمعات إلى البنية التحتية الملائمة والموارد المالية اللازمة الوسائل التكنولوجية الكفيلة بترجمة مشاريع التصميم الاجتماعي ميدانيا، يجعل من قصص نجاح العديد من مشاريع التصميم ضيقة ومعزولة ولا تحقق التوسع المنشود[1]، لذلك يُنصح أحيانا بتصميم المشروع وفق نطاق ضيق ومخصوص بقطاع محدد.

- من بين العراقيل الأخرى التي تواجه مشاريع التصميم الاجتماعي تلك المتعلقة بالجماعة المستهدفة التي تشكو أحيانا من قلة الوعي بجدوى مشروع التصميم الاجتماعي أو أنها غير مؤمنة بقيمة هذا التمشي المنهجي في تحسين وضعها الاجتماعي.

- إن استنباط الحلول المبتكرة والمؤثرة يتطلب فهما شاملا متعدد الأبعاد للمشكل المطروح، غير انه يحدث أن يستجيب الفريق المشارك في مسألة التصميم الاجتماعي بشكل اندفاعي وسطحي فيركز فقط على العوامل الواضحة للمشكلة بدل النفاذ إلى العوامل الهيكلية المتخفية.

- قد يقع التشكيك في القرارات والمخرجات التي تنبثق عن ورشات عمل مشروع التصميم الاجتماعي بسبب تأثير بعض الشخصيات ذات المكانات الاجتماعية المرموقة وأسبقيتها في أخذ القرارات على الأشخاص الأكثر تحفظا، فتكون هذه القرارات غير عقلانية وتمثيلية للآراء المعبّر عنها.

الخاتمة والنتائج :

يتبيّن أن القطع مع الثقافة الاستهلاكية لمشاريع التصميم والحد من طابعه التجاري هو الذي كشف ثراء مبحث التصميم وامتداداته المختلفة، ولعل الهدف الأساسي الذي سعت إليه هذه الدراسة مفاده كيف يمكن أن نقيم مراجعة شاملة لموضوع التصميم بتثمين البعد الإنساني والاجتماعي في ضوء التحولات الهيكلية التي يشهدها العالم وخاصة مجتمعنا، وقد انتهينا من خلال جردنا لأهم الدراسات الميدانية لعالم التصميم أن نجاح التصميم يمر حتما بإعادة الاعتبار للبعد المحلي وتنزيل البعد الاجتماعي المنزلة الكبرى في كل مشاريع التصميم والتجديد الاجتماعي، عبر مقاربة تشاركية تضم كل الفاعلين، طالما إن التجديد الاجتماعي الحقيقي وتحسين نوعية الحياة للجميع يقتضي المشاركة المكثفة والتمشي الديمقراطي، وقد أثبتت العديد من التجارب الميدانية المتعلقة بالتصميم

[1]Hubert Guillaud, «Le design social n’est pas si simple», Journal le Monde, Octobre 2010.

الاجتماعي أن قصص النجاح الحقيقية هي وحدها التي ثمّنت البعدين الاجتماعي والتشاركي وراهنت على الخصوصية الثقافية والاجتماعية للمجتمع المحلي، فعصرنا عصر تغليب البعد الاجتماعي التشاركي والتصميم ليس استثناء.

لكن ترجمة مشاريع التصميم الاجتماعي على الواقع تصطدم عادة بالعديد من المعيقات والمكبلات سواء المتعلقة بالأفراد والجماعات أو المتصلة بالمحيط الاجتماعي بما ينطوي عليه من أبعاد لذلك يتوقف نجاح مشروع التصميم الاجتماعي بالاختيار الجيّد لنوعية المشروع الذي يتماشى ومستوى وعي الجماعة وانتظاراتها وكذلك مع الخصوصيات البيئية والاقتصادية والتكنولوجية المحلية، والابتعاد عن المشاريع الجوفاء ذات الأبعاد الاسقاطية والتوظيفية.

ما يمكن أن ننتهي إليه من نتائج بخصوص هذه الدراسة يمكن أن نختزلها في:

- إن براديغم التصميم الاجتماعي من أهم الأدوات المنهجية المعاصرة التي يمكن إن يستند إليه المصمم في أي مجال من مجالات التصميم.
- إن التصميم الاجتماعي مقاربة تشاركية تقوم على اشرم كل الأطراف المتداخلة في المشروع المراد تصميمه.
- من دواعي ومبررات اعتماد مقاربة التصميم الاجتماعي إعادة الاعتبار خاصة للفئات الاجتماعية الهشة في تصميم المشاريع العمومية.
- إن تطبيق مقاربة التصميم الاجتماعي لا تتعلق فقط بتصميم البناءات والمشاريع وإنما تشمل كذلك الخدمات ولاسيما تلك المقدمة للمواطنين من قبل الإدارات العمومية.
- إن برايدغم التصميم الاجتماعي بوصفه أداة تفكير ومنهج في التعامل يفترض توفر جملة من الشروط حتى يترجم على ارض الواقع.

التوصيات:

- إن دراسة التصميم الاجتماعي كشفت عن قصور واضح لمجال التصميم المعتمد اليوم من قبل عموم المصممين وبذلك يوصي الباحث بضرورة تكثيف الدراسات للتعريف بالمقاربة الاجتماعية للتصميم لاسيما لدى أصحاب القرار.
- يوصي الباحث بتدعيم جسور التواصل بين المصممين ومختلف الاختصاصات الأخرى.
- من التوصيات التي ترفعها هذه الدراسة أن تكون مقاربة التصميم الاجتماعي حاضرة في سياسات التجديد الاجتماعي وتحسين جودة الحياة.

- يوصي الباحث بضرورة احترام الخصوصيات الاجتماعية والثقافية والبيئية عند تطبيق مقاربة التصميم الاجتماعي.
- يوصي الباحث بتطبيق مقاربة التصميم الاجتماعي خاصة في مجال الإدارة للتخلص من الروتين الإداري والعراقيل البيروقراطية من خلال تصميم للخدمة يراعي الموظّف والحريف وخصوصية الخدمة المقدمة.

List of sources and references

- Ben Youssef Zorgati, Imen, (2011), Social design: a lever for territorial developement, Contemporary Artistic Practical Research Unit at the Institue of fine arts of Tunis, University of Tunis.
- Bernadette Charlier, France Henri, (2007), Participatory design for solution adapted to the activity of communities of practice, AREF, International Congress, Strasbourg.
- Caraës Mrie-Haude&Francoise Cœu, (2008), Teaching Design? From idea to practice, Saint-Etienne, Print, Green .
- Cross Nagel, (1982), «Designerly Ways of Knowing», Design Studies, Volume 3, Issue 4, October.
- Findéli Alin, (2016), Social design, paper presented at the Innovate! Innovate! Yes but how? What social Design brings us, French Evaluation Society, March 24 Nimes (on line), http: //www. sfeasso. fr.
- Fischer, Gustave Nicolas, (1997), Psychology oh the social environnement Paris, DUNOD.
- Hubert Guillaud, (2010), Social design is not so simple, journal le Monde.

- Mokrani Anwar, (2010), The paradigm of politics for women Elected in the Algerian People's Assembly, A Gender Approach, Journal of Social Sciences, December 25th Issue, Alegria. (in Arabic)
- Moles, Abraham & Rohmer, Elisabeth, (1972), Psychology of space, Paris, Casterman.
- Papanek, Victor, (1974), Design for a real world, Urban Ecology and Social Change, Paris, Mercure de France.
- The Arab Encyclopedia of sociology, (2010), The Arab Book House, Tripoli (in Arabic).
- Thomas. Kuhn, (1970), The Structure of Scientific Revolutions, Second Edition, Enlarged, The University Of. 4. Chicago, Press, Chicago.
- Touran Alan, (2011), A New Paradigm for Understanding Today's World, translated by George Suleiman, The Arab Organization for Translation, Center for Unity Studies, Beirut, Lebanon, first edition.